

ترجمة الفصل الأول من كتاب /Analyse du discours /فرنسين مازيير Francine Mazière

تر: أ. حمو الحاج ذهبية

إطار موروث

تفرض الخاصية المركبة لتحليل الخطاب الرجوع إلى بعض التصورات والتخصصات المعرفية السائدة في الستينيات والسبعينيات. من المفروض أن تسمح لنا النقاط المعالجة باختصار في هذا الفصل أن نموقع بطريقة وافية كيف تتشكل هذا المجال، وعلى أية ركيزة، وعلى أي رفض، وفي أي نزاع (الفصل II والفصل III).

1. اللغة / الخطاب / المدونة

يشغل النحو بجمال من قبيل le loup mange l'agneau باعتبارها بنية تركيبية – دلالية (تركيب اسمي – تركيب فعلي، الاسم-الفعل – الاسم أو الفاعل، الفعل-الزائدة)، حيث لا تحيل كلمة agneau ولا كلمة loup إلى أي مرجع في العالم.

إن الخطاب يأخذ بعين الاعتبار الملفوظ المستعمل، والنواتج بطريقة يمكن للعلاقة الجمالية أو أحد مصطلحاتها أن تأخذ معنى من خلال وضعها في خطاب مؤرخ ومعين، ومحين سواء كان ذلك في خرافة، أو كنداء الراعي، أو إعلان عن افتتاح موسم صيد الذئب، أو كعنوان جريدة من قبيل:

- « Et le loup le mangea »
- « Aux loups »
- « les Loup mangent les moutons »
- « Dégât des loups »

إن هذه الجمل لا تحدد كلمة agneau أو loup في ترتيب معجمي، ولكن تحلل كيف يمكن أن يؤثر التخاطب الخارجي في المعنى (le grand méchant loup) وفي استعمال الكلمة في هذا أو ذاك السياق اللغوي والاجتماعي. يمكن ملاحظة التباعد نفسه في مجالات تعود إلى النحو خصيصاً، فلا يعالج تحليل الخطاب الروابط وقيودها النحوية، ولكنه يمكن أن يحلل المعنى وكذلك آثار تكرار رابطتين، ففي عهد الثورة نجد جملاً من قبيل: " الخبز والسلاح"، "الخبز والحرية".

إن تحليل الخطاب لا يعالج القالب الصيغي بصفة عامة ولكنه يعالج كيفية إبداع الصيغ مثل: "التطهير الإثني" خلال حرب الكوسوفو.

إن تحليل الخطاب لا يفصل الملفوظ عن البنية اللسانية، ولا عن شروط إنتاجه، سواء كانت شروط تاريخية وسياسية، كما أنه لا يفصل الملفوظ عن التفاعلات الذاتية، إنما يقدم قواعد القراءة حتى يسمح بتأويل معين.

إنه لمن التعسف وضع ترجمة حديثة لما يدعى بـ "الكلام" عند سوسور، حتى إن كانت المحاولة كبيرة. عندما يقابل سوسور بين " اللسان" و "الكلام"، فإنه يقابل بين صيغة التعاقد في المجتمع، أو الصيغة الاجتماعية التي هي "اللسان" بصيغة التفرد التي هي "الكلام"، أما الخطاب فليس بفردي، إنه التماظهر المثبت لتعيين كل كلام فردي.

يوظف بعض محلي الخطاب مفهوم سوسور للغة أي "من حيث دراستها في ذاتها ومن أجل ذاتها" آلية قاعدية تؤسس للخطابات وتسهم في المعنى، بينما يرفض بعضهم الآخر هذا المفهوم على أنه عقيم، ولذلك يدخلون إلى جانبه ما يدعى بالذات المتحدثة في فرديتها أو في انتمائها (الجماعة، العمل، الالتزام...)، وذلك بالعودة إلى علم النفس، وإلى علم الاجتماع، وهي العلوم التي أبعدتها سوسور حينما كوّن الموضوع الخاص باللساني.

مهما يكن الموقع الذي نتّخذه إزاء اللغة، يبقى الخطاب دائما بالنسبة لمحلله نتاجا، أو ملفوظا، أو مجموعة من الملفوظات المثبتة الواضحة، ولكن ذلك لا يخص كل الملفوظات.

لا يشتغل لساني الخطاب على أمثلة متعلقة بالجمل الملفوظة أو النصوص، ولكنه يشتغل على مدونة، وهذا يعني أنه يقوم بالتحديد، وإيجاد العلاقات، وبتنظيم مجموعة من الملفوظات أقل طولا وأقل تجانسا، وهو الأمر الذي يقوم بعرضه للتحليل. لقد وقع الخلط خطأ بين مصطلحي الملفوظات والخطاب من جهة وتحليل الخطاب من جهة أخرى، حيث يعتبر أحدهما معطى والآخر (تحليل الخطاب) بحثا مما تسمح به المدونة.

إن إنشاء المدونة يدفع المحلل إلى التمتع إزاء اللغة وعملها (اختيار أشكال اللغة التي يجب الكشف عنها وتحليلها)، وتدفعه إلى اتخاذ موقع إزاء المتكلمين ودرجة استقلالهم (تشكل ملفوظات الأرشيف والملفوظات التخاطبية)، وموقع تجاه القيود التي تفرضها الأجناس الكلامية (مدونة متجانسة أو متغايرة).

كما يجب إضافة تعريف للمعاودات في حال عملها في فترة البحث الدلالي ومجاله (التشكيلة التخاطبية، وشروط إنتاج الملفوظات)، إذ هي فرضيات حول أهم ما يمكن إظهاره (تحديد الموضوع)، في علاقتها مع المعارف السابقة وملزمات البحث.

II. بناء المدونة أو تكوينها

إن إنشاء المدونة ليست جمعا للنصوص، إنه تكوين جهاز للملاحظة والكشف، وإدراك موضوع الخطاب الذي سوف يتكفل بتأويله.

لقد كانت المدونات الأولى محل الدراسة منصبة على النصوص السياسية، والنصوص التأسيسية، حيث طبقت تقنيات التقطيع على مجموعة من النصوص المختارة للدلالة على طريقة التباين: التباين السياسي (الشخصيات بلوم/توريز Blum /Thorez ، وتباين المحاور: جريدة Le Figaro /وجريدة L'Humanité)، وتباين الأجناس (المقال الافتتاحي/التحقيق الصحفي)، والتباين الزمني (الخاصية الإقطاعية/الخاصية البرجوازية).

لقد أصبحت هذه التقنية ممكنة بتحديد جريء لموضوع الخطاب، سواء كان هذا الخطاب ملكية، أو موضوع كره الأجانب، أو حرب الجزائر أو جوراس. Jaures. وحول موضوعات محيطة، قمنا بتحليل خطابات متباينة، واكتشفنا قطيعة مزدوجة مع النص ومع المحتوى باعتباره موضوعا.

إن فكرة "شروط الانتاج" الثابتة والمتجانسة كانت منصبة على إشكالية مقامات التواصل، وحتى إن ورث تحليل الخطاب مفهوم الماركسية قبل مفهوم التواصل، فلم يكن

ذلك إلا في بداية الستينيات. ثم إن المدونات تشكلت في إطار من المغامرة الواسعة، وبعملية تحليلية، من خلال "مسار موضوعي" محدد في الأرشيف، وتفتح على شرائح المجتمع (الفصل III)، ومن خلال مواجهة الإعلام الآلي للمدونات الكبرى التي تستغني عن التركيب وتفضل العودة إلى جمع النصوص (الفصل IV).

وبالموازاة، تقوم مسألة المواضيع من قبيل الوصف الاجتماعي، التجمعات النوعية و"الأجناس" من حكايات المسافرين، النقاشات المتلفزة... بإيجاد تكوين تجانسات جديدة.

III. مواقف حول اللغة

1. اللغة باعتبارها شكلا

إن اللغة خصائص عالمية مثل التقطيع المزدوج، والتتابع أو التسلسل، ولغات أشكال ثابتة في التاريخ، وإعادة مقولة رومان جاكسون التي أصبحت شهيرة، يمكننا قول كل شيء وفي كل اللغات، ولكن هناك أشياء يستحيل عدم قولها في بعض اللغات، مثل الضمائر بالنسبة للموضوعات il و elle في اللغة الفرنسية، والنفي في اللغة الإنجليزية الذي يشتمل على it، أو مفهوم الزوج عندما تحتوي اللغة على "المتنى" إضافة إلى المفرد والجمع.

أن نأخذ هذه الأشكال في الحساب، هو أن نعلن أننا لا نقول الشيء نفسه، حتى إن كان في اللغة ذاتها، وعندما نقول ذلك بطريقة أخرى، إذن فتحليل المحتوى غير كاف مثل قولنا: "لقد استدعى المجلس"، "والمجلس مستدعى"، وفي حال الخبر يقول خبير طبي: "ألاحظ أن... و"تلاحظ أن...." و « chapeau » و « couvre-chef » فهي كلها

جمل لا تحتل معنى متماثلا. كما يمكن القول بوجود الترادف، ولكن ليست بترادفات حقيقية، فكل صيغة لغوية تشكل المعنى والنموذج المعنوي بخصوصياته المتميزة. وإذا كان من غير الممكن إهمال الصيغ النحوية في اللغة، وإذا كانت الرسالة الأساس التي يبعثها تحليل الخطاب للمؤرخين، وللمختصين في علم السياسة أو إلى السسيولوجيين هي إن " اللغة ليست شفافة" وليست وسيلة بسيطة مستعملة لإرسال معنى "موجود هنا"، ومشكل قبل وضعه في خطاب، فإن المحللين سيواجهون مع ما يدعى بـ"اللغة".

2. اللغة – اللسان

تعرضت البنيوية لنزاع هام. نجد في اللغة الفرنسية كلمتين اللغة و اللسان للدلالة على ما يدعى في اللغة الإنجليزية بـ اللسان. ليست هذه الخاصية متداولة في اللغات الأوروبية، إلا أن سوسور في متن كتابه Cours de linguistique générale يفصل اللغة عن اللسان.

إن اللسان "متعدد الأشكال وغير قياسي، يستند إلى ميادين متعددة، فزيائية، وفزيولوجية، ونفسية[بانتماؤه وفي الوقت ذاته] إلى الميدان الفردي وإلى الميدان الاجتماعي"، أما اللغة فإنها "نتاج اجتماعي لملكة اللسان، ومجموعة من التواضعات الضرورية"، التي "لا تفترض أبدا أن تكون جاهزة"، و"ليست هي وظيفة الذات المتحدثة".

بذلك تتحدد اللغة التي يمكن أن تشكل موضوع اللسانيات لأنها " الوسيلة التي أبدعها المجتمع وبؤديها[...]"، إن اللغة هي التي تصنع وحدة اللسان". تشير المسلمة التي عن طريقها تكون اللغة حدثا اجتماعيا إلى المجال الداخلي من اللغة وهو بمثابة عقد، حيث أن المصلحة المشتركة للتفاهم المشترك ضامنة للنظام. وفي المقابل نجد «الكلام»، أو تعبير

الذات الفردية، ومقر التبادل والإبداع، لكن شيئاً فشيئاً صنف تلقي كتاب " الدروس " قراءة تنفي دور " الخطاب " و"الجماعة المتحدثة"، وفي الوقت ذاته- وبأثر معاكس- ينفي الخاصية النظرية لمفهوم اللغة، حيث سريعا ما أنزل إلى حد المعيار ورفضه مبدعو اللسانيات الاجتماعية.

3. اللغة باعتبارها وسيلة للتواصل

لقد وظف مصطلح " الذات المتحدثة" داخل النموذج البنوي ذاته، أو داخل اللسانيات وبالتلاقي مع الانثربولوجية. إن المتلفظ هو الذات التي تأخذ الكلمة، أو الذات التي تستعين بصيغ لغوية خاصة للتحكم في المقام التلفظي وهو ما يدعو بنفست بـ "الجهاز الصوري للتلفظ"، المتكون من الضمائر، والأزمنة الفعلية، والمبهمات، والأشكال الجمالية، والأنماط...وبذلك يصبح الملفوظ والتلفظ ثنائية من المفاهيم دون منازع وذلك منذ 1950. ولكن المتلفظ ليس بشخص مفرد، و"أنا" المتلفظ س يصبح "أنا" للمتلفظ ع انطلاقا من اللحظة التي يأخذ فيها المتلفظ ع الكلمة.

لن يتوقف المخطط التواصلية عن التعقيد، ولا عن فصل المتكلم عن السامع، كما يستمر الاستعلام عن الصيغ التي تعين المتلفظ مثل صيغ الزمان والضمائر، والتنميط في التشكل في صيغة لغة.

لقد عرفت نظريات التلفظ توسعا معتبرا، وذلك لالتقاءها لمقاربات تطورت في ظروف أخرى سياسية وابستمولوجية، كما ساهمت علاقتها بالأفعال اللغوية (القول يعني الفعل) -

التي أسسها الفيلسوف أوستين في دراسته للغة العادية- في إعادة تعريف مفهوم اللغة وذلك بالنظر إلى وظائفها، ومن بينها وظيفة التواصل التي أضحت مهمة. وبالتركيز على نشاط الذات الكلامي، فإن التداولية تفتح ميدانا جديدا حيث لا يكون شكل اللغة مطلوبا بقوة.

وبالتالي يرث تحليل الخطاب -في الوقت ذاته- من اللغة البنية، ومن اللغة التجريبية التي تميز المجموعات الاجتماعية أو من العمل اللغوي، كما يلتزم بإعادة التأمل في تقابلها، وفي تفصلهما، إضافة إلى التأمل في العلاقة التي تربطهما، وبذلك تتولد مواقف مؤسسة على الاختلاف النظري، وشيئا فشيئا نجد النعوت التقليدية لكلمة " لغة" في ما يدعى بـ اللغة "المشتركة"، واللغة "الوطنية"، واللغة "الفرنسية" التي تصف فرادة الاتساق التجريبي، أو التقابل بين "اللغة" باعتبارها حدثا إنسانيا واجتماعيا منظرًا له، وبين "اللغات" باعتبارها تنظيمات جغرافية، وتاريخية، واجتماعية مفردة، بحيث تترك مكانة للحدث اللغوي، أو حتى للغة المقسمة من حيث كونها- "لغة البرجوازية"، أو "لغة المدرسة"، أو "لغة العمل"- وذلك خوفا من امتزاج الحدود مع "الخطاب".

IV. المتكلم، المتلفظ، انعكاسية الذات المتحدثة، الذات

إن مفهوم الذات غالبا ما كان تابعا لمفهوم اللغة.

1. المتكلم الحامل لكفاءة نحوية

لم ينظر النحو العام للغة ولكن نظر لما يدعى بالقواعدية. إن المتكلم يولد وهو حامل لقدرة تقبل كل ملفوظ "مقبول"، إنه مفهوم يحتقر المثبت بإعطاء الامتياز لـ "الإحساس

اللساني" وهو ما عارضه أغلب محلي الخطاب. إن تطور النحو العام في قسمه النظري لم يخدم تحليل الخطاب إلا لمدة قصيرة أي بين 1975 و 1985 (الفصل III).

2. المتلفظ

يجعل هذا المفهوم من الذات التلفظية إشارة لسانية، بحيث يوظف المتحدث صيغا لغوية تنظم الزمن والمكان انطلاقا من أنا، هنا والآن.

إنها صيغ إشارية تتمثل في (هذا)، وصيغ استعلامية من قبيل (البارحة، هناك)، وصيغ دالة على العلاقات الشخصية بين (أنا/أنت مقابل هو)، والأنماط الفعلية (الواجب) التي تتواجد بأشكال متعددة في كل لغة، يضاف إلى ذلك حكم المتلفظ حول ما يقوله، والذي يتبلور بوساطة التتميط بتوظيف الصيغ مثل: ربما، بالتأكيد، وصيغ الجمل الاستفهامية والشرطية والطلبية التي تبرز الالتزام الواعي للذات المتكلمة وقصد دلالتها.

إن حكاية التلفظ طويلة، ولكن أهم الأعمال المطلوبة باستمرار في تحليل الخطاب هي أعمال إميل بنفيسست، الذي اقترح تقابلا بين القصة والخطاب، حيث يعين الخطاب قولا يحيل إلى حاضر المتكلم، في حين تمثل القصة متوالية من الأحداث التي يبدو أنها تروي نفسها بنفسها.

لم يُكرّر هذا المعنى المقدم للخطاب في تحليل الخطاب، ولكن استُغلت فكرة التلفظ المتباين، وكان مفهوم التلفظ مطلوبا منذ البداية (الفصل II)، وغالبا ما كان يبدو في شكل معدّل للتواصل وجها لوجه، ولعبة متخيلة للمواقع، ومتلفظ مزدوج، وبناء لمشهد تلفظي...

3. الانعكاسية

إذا لم يكن للذات المتحدثة نحو راسخ في الذهن مثل متكلم النحو العام، وإذا لم يكن لها مقصدية واضحة مثل الذات المتواصلة، فإنها تعتبر بالنسبة لمحلل الخطاب فاعلا انطلاقا من استعمالها لمعرفتها اللسانية، ومن خلال قدرتها على الحديث عن اللغة دون مرجعية مؤسسة.

يتطلب المحلل في تحليل الخطاب هذه القدرة خاصة عندما يتعلق الأمر بالخطاب المروي، وبما يدعى بالكلمات ذاتية الدلالة التي تبرز الكلمة باعتبارها إشارة منعزلة عن سياق استعمالها، (إن لكلمة Charité ثلاثة مقاطع، التحليل عبارة عن اسم) وعن التفسير ذاتي الدلالة (Charité مثلما نقول). لقد كانت دراسات كل من ج.ر. دوبوف-J.Rey و Debove وج.أوتبي J.Authier... مستعملة بكثرة في هذا المجال.

إن مثل هذه القدرة مهمة جداً للكشف عن التغيرات التخاطبية وانعكاسية المتكلم هي التي تسجل الأحداث اللغوية في المسار التاريخي كعمل جديد للصياغة. يمكن أن يؤدي الكشف عن هذه القدرة باعتبارها الأفضل تقاسما إلى وضع المحلل في موقع خطر إذ إن فهمه لانعكاسي يجعله في تطابق مع المتخاطبين المتفاعلين.

4. الذات

ترجع الكلمة إلى لاكان Lacan ، في حين ورغم علاقتها بعلم النفس التحليلي، فإن ذات اللاوعي لم يعالجها تحليل الخطاب حتى وإن حاول في السبعينيات أن يفرق بينها وبين (أنا) المعالج في علم النفس. يثير هذا المصطلح المستعمل غالبا نوعا من التمازج حتى إن كان ذلك بوساطة التحديد الذي يقحمه المصطلح النحوي الوصف وتتعين عن طريقه "الذات النحوية"، ثم المصطلح الوصف الذي يعين الباث أو المرسل في المخطط التواصلية.

هل الذات هي الشخص؟ أي الشخص الذي يقول "أنا" أو الذي يتعين بـ "أنا"؟، وهل ينعكس هذا "التفرع" في الخطاب؟، هل هو نوع أو مجموعة؟، ألا توجد الذات المتحدثة في تحليل الخطاب إلا بعد أن رفضها علم النفس الاجتماعي؟، وكيف يمكن أن نأخذ انفكاكها في الحسبان؟.

لقد ثبتت الماركسية- التي تعد مرجعا خلال السنوات الأولى لتحليل الخطاب- الأنا، بينما وزعه فوكو Foucault في التشكيلة التخاطبية، وأخرجه التعاون الحادث بين اللسانيين وعلماء النفس التحليليين من الاتجاه النفسي، في حين يدخله التعاون مع علماء التاريخ ما يدعى بالذات التاريخية. ينظم التخاطب المشترك "عدم تحديد غرض الذات المتلفظة" في آلية الملفوظات حسب معادلة بيشو Pecheux .

إن تعقيدات التداولية تعيد تحديد الذات على سلم الأفعال والأفعال المصاحبة التلفظية والدلالية حيث بإمكانها أن تتعدد وتتلاشى. في الحالات الأكثر بساطة، هناك على الأقل المتكلم التجريبي والمتلفظ اللساني، وبالتالي تكون الإحالة مفروضة، إذ إن موضوع تحليل الخطاب هو "موقع الذات" في مقارنة التجريد من الذاتية، وفي حقيقة الأمر، لا يمكن إدراكها إلا داخل بحث المحلل وفقا للغاية من التأويل والموقف من اللغة.

٧. معارف المحلل

إن محلل الخطاب ليس بشخصية محايدة أبداً، لقد لاحظنا أنه من واجبه اتخاذ موقف إزاء اللغة، وآخر إزاء الذات، كما عليه أيضاً إنشاء جهاز للملاحظة، فلقد تطورت الفكرة منذ بداية تحليل الخطاب أي في بداية السبعينيات ومن خلال ما يحدث من نزاعات بين المعارف.

انطلق التجرد من الذاتية مع الدور الوسيط الذي لعبته وسائل الإعلام، فمنذ بداية الخمسينيات قامت اللسانيات الكمية التي تركز على الإحصاء بنشر طرقها وتوسيع أبحاثها. ظهرت الآلة بنظرية معالجتها بالنسبة لمحللين ملتزمين سياسياً كضامن للموضوعية والعلمية، والتحذيرات المتكررة المتعلقة بدور غير محايد للمبرمج، فقد كانت المعالجات الإعلامية جد مطلوبة (ويحيل إليها الفصل (II) طويلاً، بينما سوف يعالجها الفصل (IV) بتعرضه لإشكالية المدونات الكبرى).

في الاتجاه المقابل، نجد أن تكرار المواقف الإيديولوجية والابستمولوجية هي التي تطرح المشكلة، ويتعرض لها المؤرخون. إن على مؤرخ الخطاب والمؤرخ المعجمي التساؤل إن كان التحليل مجرد توضيح أو تحليل بسيط لمواقفه باعتباره خبيراً حاملاً للمعرفة، فمثلاً نجد أن خاصية النظام القديم ليست هي خاصية النظام البرجوازي، وباختصار، يتساءل إذا وظف مطرقة آلية لتكسير بندقة، أو أن التأويل الذي توصل إليه هو بمثابة نتيجة للمؤرخين. وبالتالي يمكن الحديث عن الانتقال من مدونة منظمة عن طريق معارف سابقة للمحلل إلى مدونة أكثر بحثاً عن طريق "مسار موضوعي" في الأرشيف، ثم الانتقال إلى

مفهوم التشكّل عن طريق التحليل الديناميكي وغير الثابت (الفصل IV)، فهذا العمل الدقيق الذي لم يحتفظ به في معالجة المدونات الكبرى يعد دون شك عملاً إبداعياً.

VI. أنواع الخطاب

إنه مبحث موروث أيضا، ومثير للجدل، لقد تركت لنا البلاغة القديمة تصنيفا للخطابات، أعادت البلاغة الحديثة صياغته في الخمسينيات. لقد أراد تحليل الخطاب فرض مصطلح "الخطاب" باعتباره مفهوما مخالفا لمفهوم الخطابات مع الدفاع عن العبارة المركبة "تحليل الخطاب" Analyse du discours وليس "تحليل الخطابات" Analyse de discours رغم الاستمرار في البحث عن تصنيف محدد. إن ذلك مرتبط بالعناصر الأولى لتحليل الخطاب وبالخصوص بطريقة جمع الملفوظات التي تحمل قيما بالتباين.

إن التصنيفات الأولى التي تقام على أساس التباين تؤدي سريعا إلى ترتيبات تفسيرية وفقا للغايات أو وفقا لأنواع التواصلية. وبذلك نقابل "الخطاب التعليمي" بـ "الخطاب السجالي"، في حين يمكن أن يكون الخطاب التعليمي من نوع فلسفي أو بلاغي، يدخل الخطاب العلمي في إطار الخطاب السجالي. وبذلك يمكن تصنيف المعجم والنمذجة الخاصة، وتقليص التصنيف غالبا إلى قوائم وصيغ متكررة.

سوف نرى في الفصل IV التجديدات البنوية الحالية التي يقترحها بعض الباحثين من الجانب السميولوجي (ب.شارودو P.Charaudeau)، أو من جانب النص (ف. راستي F.Rastier). إن إعادة تجديد دراسة الأجناس (بيكو J.C.Beacco، وروزوف S.Branca-Rosoff) التي استغلت بشكل واسع في الازدواجية الأنجلو-ساكسونية، أدت في فرنسا إلى ظهور تخصصات في المدونة حيث يمكن أن تعيد تنظيم ميادين التحليل،

وبذلك يميل الخطاب السجالي أو الخطاب التعليمي إلى الخطابات الإعلامية، المخصصة في خطاب حصة ما، أو حدث ما...

هناك مصدران نظريان يرتكزان على هذا السؤال وأولهما أعمال بنفنيست، وتفرقته الصورية بين القصة (السرد المتباعد) والخطاب (الكلام المستعمل) مما يؤدي إلى استنتاج فكرة تصادف الممارسات التخاطبية المتعددة للمتكم مع استعمالاته المختلفة.

وبعد ذلك وبعد أعمال الشكلايين والفلكلوريين حول السرد الأدبي، فإن إعادة تجديد الدراسات حول الحجاج أدّى إلى التخصّص، واستقلالية الخطاب الحجاجي، فلا يمكن لهذه التخصّصات النظرية المتمثلة في التميّز السردّي أو الحجاجي إلا استنتاج نموذج تعميمي لأنواع عن طريق الالتقاء والتباين. و بذلك يصبح التركيب "تحليل الخطاب" تحليلاً للخطابات، وبصيغة الجمع هذه يمكن الإحالة إلى أنواع الخطاب .

المعنى وعلم الدلالة

إن نتيجة التحليل هي التأويل، وهنا أيضا يبدو للتقليد أهمية، إذ ننطلق من التأويلية إلى التفسير البسيط للنص، ولكن الإرث موجود في خضم اللسانيات والمنطق. لقد تعرض المنطقة خاصة منهم فريج وروسال Frege et Russel في بداية تحليل الخطاب، إلى إعادة قراءة أعمالهم، كما تكرر توظيفهم في المقابلة بين المعنى والدلالة، وفي إشكالية التشبّع.

ورغم بعض التغيرات التي حدثت في استعمال الكلمتين (المعنى والدلالة) عندما يكونان ما يدعى بالمصطلحات الواصفة، فإن التفرقة الموروثة تضع الدلالة في النظام النحوي، والمعنى كنتيجة لتأويل معقد باحتوائه العناصر الظرفية والسياقية، فيصبح بذلك تحليل الخطاب مهتما بالمعنى.

لقد تكون علم الدلالة في خضم اللسانيات وذلك منذ نهاية القرن الثامن عشر، وهو "علم دلالة الكلمات"، وذلك بالعودة إلى مصطلحات مكتشفه وهو ميشال بريال Michel Breal. وبالدخول في اللعبة أختيرت كلمة "الدليل" أو "العلامة"، ودرست دياكرونيا من أجل تطور المعاني، كما درست سانكرونيا نظرا لقيمتها في النظام اللساني.

تؤدي هذه الطريقة في ألمانيا ثم في فرنسا إلى دراسة "الحقول" المفهومية والمعجمية، ودراسة "المفردات" ذات الطبيعة النصية أو الاجتماعية، والبنى الصغرى التي عولجت باعتبار تفتحها على ما يدعى بخارج اللغة. ولكن يمكن إيجاد "الحقول" الدلالية داخل اللغة، إذ تسمح بتطورات جديدة لبعض النماذج المتعلقة بالترادف، والاحتواء، والنماذج ذاتية الدلالة، في حين يحاول البعض الآخر القيام بتنظيم عام للمعجم أو المفردات، وهو تنظيم عالمي دون أية إحالة إلى الدياكرونية، وذلك عن طريق التحليل المعنوي المستوحى من تحليل الوحدات الصغرى في الفونولوجيا التي تستهدف نوعا من التقعيد.

لقد أسهم كل من ج. بيتار J. Peytard، وب. بوتيري B. Pottier، وج. ديوبوا J. Dubois إضافة إلى الذين هم أكثر التزاما تجاه اللسانيات التي تؤدي إلى تحليل الخطاب في إعادة التحديد - بشكل كبير - انطلاقا من التساؤلات المطروحة حول الترجمة الآلية (الفصل II).

كانت هذه اللعبة معقدة إلى حد ما في الستينيات، وبموازاة التقليد الفونولوجي الأوروبي وبالخصوص التقليد البنيوي، طورت أمريكا التوزيعية وذلك بالاستغناء عن المعنى المعجمي، وإعادته إلى الأنثربولوجيين والنفسانيين والمناطق.

وفي هذا الإطار، يبرز علم التركيب على أنه تكوين مستقل، والنحو على أنه دراسة مستقلة وشكلية للجملة. لقد أعاد النحو التحويلي العام لنعوم تشومسكي وضع علم الدلالة في قلب كل الجدالات وذلك بين 1963 و 1965 (تأتي الترجمة الفرنسية عشر سنوات بعد)، وبإدخال "المكون الدلالي" إلى جانب "المكون التركيبي"، وهما المكونان اللذان يجب أن يتدخلا في تأويل الجملة.

يقلص ابتكار مفهوم المقبولية بعد مفهوم القواعدية من معالجة المعنى بشكل معتبر وهو تقليص إلى حد الغموض ثم إلى اللامعنى، كما تقوم المواجهات الحادثة في السبعينيات بوضع الفرضيات انطلاقاً من الشكليات المنطقية-الدالية. سوف نرى إلى أي حد يؤثر هذا التطور لعلم الدلالة تجاه العالمية في تحليل الخطاب وذلك في الثمانينيات (الفصل III).

إن التطورات التي حصلت حديثاً في مجال اللسانيات وعلم الدلالة الصوري تلائم تحليل الخطاب دون شك في حال تشكله وبنائه. فسواء تعلق الأمر بمستوى التحليل الخاص بالكلمة والجملة والنص، أو تعلق الأمر بالغاية من التحليل أي المعنى في المعاني، أو المعنى في نسيج من العلاقات، فإن علم الدلالة مشوّش في حدود ما يقم عنصر المكان والزمان في تحليلات اللغة، ويمنع من تحديد موضوعها في معزل عن العالم، مثلما يسمح علم الدلالة كذلك بإدخال عنصر قوي من حيث التشويش وهو المتكلم.

خلال هذه السنوات أيضا يتطور في أوروبا وفي أمريكا ما يدعى بعلم الدلالة التداولي، الذي يتغذى من الفلسفة التحليلية الإنجليزية من خلال نظرية أفعال اللغة. إنه علم الدلالة الذي لا يهمل التلفظ، والأفعال الانجازية، ويدمج مواضع الاستعمال، ويحدد الاستراتيجيات التخاطبية.

وبوضع اللغة والذات في قلب التحليل، يكون تحليل الخطاب في وضع اختيار لا بد من القيام به عندما يتعلق الأمر بمقاربة المعنى. وسوف نرى كيف يتخلى تحليل الخطاب عن مفهوم الدلالة من أجل مفهوم القيمة، وكيف ينقل جهاز ملاحظاته من الكلمة إلى التركيب، ومن الكلمة إلى الجملة، ومنها إلى النص دون الاستغناء أبدا عن الكلمة مادام تحليل الخطاب يذهب إلى حد الإعلان عن "معجم" للخطاب، لكن دون إهمال علم الدلالة الجملي وعلم الدلالة النصي.